E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

قرصنة السفينة الهولندية «أَنَّـا» بساحل الحسيمة سنة 1895م

من خلال الأرشيف الهولندي

The Piracy of the Dutch Ship "Anna" on the coast of Al Hoceima in 1895 through the Dutch Archives

د. محمد العمراني(*)

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

mohamedelamrani73@yahoo.fr

ذ. عبد الغني العمراني

جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب

pr.ghaniho@gmail.com

تاريخ الإيداع: **2019/01/10** تاريخ النشر: **2019/03/05**

الملخص:

ظل الساحل الغربي للمتوسط خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر يعجُّ بحركة الملاحة البحرية، ولم تكن السفن الأوروبية الـمُبحرة هناك تسلم من الهجمات القرصنية التي كانت تشنها القبائل الريفية المغربية؛ إذ تعرضت سفن تجارية كثيرة لغارات بحرية كانت تنتهي غالباً باحتجاز الريفيين لبعض الأوروبيين أو بقتلهم أحياناً. ويعتبر الهجوم الذي تعرضت له السفينة الهولندية الشهيرة «أنَّا» يوم 28 أبريل 1895م بساحل الحسيمة من قِبل جماعة مسلحة من أهالي قبيلة بقيوة الريفية من أبرز العمليات القرصنية التي نُفِّذت ضد السفن الأوروبية في الساحل المتوسطي خلال الفترة المذكورة، وخلفت ردود فعل قوية في الأوساط الهولندية كادت أن تعصف بمستقبل العلاقات الدبلوماسية بين المغرب وهولندا لولا مسارعة المغرب إلى الإذعان لشروط الهولنديين بدفع تعويضات مالية ثقيلة لأسر الضحايا. سوف نسلط الضوء في هذه الدراسة على هذا الحدث القرصني وتداعياته على العلاقات الثنائية بين البلدين، معتمدين في ذلك على وثائق الأرشيف الوطني بلاهاي، وهي وثائق نفيسة دُوِّنتْ في حينها من قِبل الجانبيْن الهولندي والمغربي.

الكلمات الدالة:

القرصنة، الحسيمة، السفينة أَنَّا، هولندا، المغرب

(*) **المؤلف المرسل: محمد العمراني** mohamedelamrani73@yahoo.fr

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

Abstract:

During the second half of the nineteenth century, the Western coast of the Mediterranean was full of maritime traffic, and the European ships sailing there were not immune to the piratical attacks of Moroccan rural tribes. Many merchant ships were subjected to naval raids that often ended with the captivity or sometimes killing of some Europeans. The attack on the famous Dutch ship called "Anna" on April 28, 1895 on the coast of Al Hoceima by an armed group of the people of the rural village of Beqiwa was one of the most prominent operations carried out against the European ships in the Mediterranean coast during the aforementioned period. Indeed, this attack created a strong reaction in the Dutch circles almost endangering the future of diplomatic relations between Morocco and the Netherlands. As a result, Morocco had to comply with the conditions of the Dutch pay heavy financial compensation to the families of the victims. Thus, in this study, we will shed light on this piratical event and its implications for the bilateral relations between the two countries, relying on the documents of the National Archives in The Hague, which are valuable documents that were then written by the Dutch and Moroccan side.

Key Words :

Piracy, Al Hoceyma, Ship "Anna", the Netherlands, Morocco

عرفت منطقة الريف المغربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر نشاطاً قرصنيًّا مطرداً ارتبط في معظم الأحيان بتجارة التهريب، فأثار أزمات دبلوماسية شائكة بين المخزن (الدولة) وبعض القوى الأجنبية، مثل إسبانيا وفرنسا وإيطاليا وإنجلترا وهولندة والبرتغال. وكانت الغارات على المراكب الأجنبية تنتهي غالباً باحتجاز الريفيين لبعض الأوروبيين، أو بقتلهم أحياناً، بينما كانت الدول الأوروبية تصر على معاقبة قبائل الريف وإرغام المخزن على دفع تعويضات مالية باهظة بالعُملة الأوروبية. وكانت قبيلة بقيوة من أشهر القبائل الريفية التي مارست النشاط القرصني ضد السفن الأوروبية خلال هذه الفترة، إذ ما بين سنتي 1889 و 1897 نفذ أهل بقيوة ما يناهز أربع عشرة (14) غارة بحرية ضد مختلف السفن المذكورة، معظمها حصل في عهد السلطان مولاي عبد العزيز، خصوصاً في الفترة الواقعة ما بين سنتي 1894 و 1897، التي ازدادت خلالها غاراتهم القرصنية بشكل مثير للغاية، بمعدل غارتيْن تقريباً في كل سنة[1].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

سوف لن نتطرق في هذه المداخلة إلى كل العمليات القرصنية التي نفذتها هذه القبيلة ضد السفن الأوروبية في عرض السواحل الريفية، وإنما سنركز حديثنا فيها على عملية قرصنية خطيرة نظَّمتْها ضد السفينة الهولندية «أَنَّـا» في ساحل الحسيمة خلال ربيع 1895، خلفت خسائر مادية وبشرية جسيمة، وكادت أن تعصف بمستقبل العلاقات الدبلوماسية بين المغرب وهولندة لولا مسارعة الدولة المغربية إلى الإذعان لشروط الهولنديين بدفع تعويضات مالية ثقيلة لأسر الضحايا، وهي عملية لم تحظ بعدُ باهتمام الباحثين والدارسين المغاربة وغيرهم، لعدم وجود وثائق تاريخية عنها في الخزائن الوطنية المغربية على الأقل. ولحسن الحظ عثرنا في الأرشيف الوطني بمدينة لاهاي على وثائق متصلة بهذه العملية القرصنية اتصالاً مباشِراً، دُوِّنتْ في حينها من قِبل الجانبيْن الهولندي والمغربي، نتوفر على نسخ مصورة منها توجد بخزانتنا الخاصة، وهي وثائق غميسة ونفيسة، تكشف لنا بصورة جلية عن ملابسلات هذا الهجوم المسلح العنيف وتداعياته على العلاقات الثنائية بين البلدين، سوف نثبت في هذه المداخلة مقتطفات من نصوصها كما وردت في صيغتها الأصلية.

يعود هذا الحادث القرصني إلى مساء يوم الأحد 28 أبريل من سنة 1895، حينما هاجمت جماعة مسلحة من أهالي قبيلة بقيوة الريفية السفينة الهولندية «أَنَّـا» بالقرب من مرسى الحسيمة، واستولت على حُمولتها، وقتلت رئيسها، وجرحت عدداً من طاقمها، كما يظهر ذلك جليًّا وبتفصيلٍ دقيق من تقريرِ احتجاجِ طاقمِ السفينة المذكورة ضد السلطان مولاي عبد العزيز وضد القراصنة الريفيين على هذا الهجوم القرصني الذي تعرضوا له، مؤرخ في 7 ذي القعدة من سنة 1312هـ/2 مايو 1895م، أمضاه وشهد بصحته القنصل الهولندي بجبل طارق خوسف أروند بطرن، وهو تقرير فريد من نوعه، يميط اللثام عن ملابسات هذه الحادثة، ويكشف عن تفاصيل دقيقة انفرد بها دون غيره من المستندات التاريخية الأخرى، نورده فيما يلي كاملاً بنصه ولفظه:

«فليكن معلوماً عند كلِّ مَن يرى أو يقرأ أو يسمع بصورة هذا الاحتجاج أنه في هذا اليوم 2 فاتح مايو عام...خمسة وتسعين بعد الألف وثمانمائة مسيحية، حضر أمامي شخصيًّا أنا القنصل خوسف أرند بطرن، قنصل دولة هولندة الفخيمة في جبل طارق، وليم أوسطن البحري الكامل المتولي وقتيًّا إدارة السفينة أَنَّـا الهولندية التابعة مرسى أواد بكالة، المسجل محمولها 170 و 26 من مائة طون، أي 482 مترو مكعَّب، ومعه سائر بحرية السفينة أَنَّا المذكورة وهم هؤلاء: ج.و.بركرند بحري كامل، وأ.برون كذلك بحري عمومي أو اعتيادي، وج.كوك الطبَّاخ. فبعد اليمين قرَّر هؤلاء أن و.أوسطن المذكور استلم قيادة السفينة في مساء الثامن وعشرين من أبريل عام 1895، وذلك على إثر قتل القرصان الرئيس ج.ج.ولوس، وجرحهم جروحاً مخطرة نائبه وكر سمث، الذي هو الآن مريض تحت الخطر في دار المرضى المعروف بكولنيال هوسبتال في جبل طارق، وقالوا إنه بينما كُنَّا مُداومين على سفرنا من باري إلى لوريان، في مساء الأحد المذكور في 28 أبريل وجدنا أن الرياح سكنتْ، وأن السفينة كانت تندفع نحو شواطئ إفريقيا، وإذ كُنَّا على

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

مسافة مقدار سبعة أميال من مرسى الخوسماس (الحسيمة) قرب الساعة اثنين ونصف أو ثلاثة بعد نصف النهار وقتاً بحريًّا، فحينئذٍ شاهدْنا قارباً قادماً نحونا من شواطئ إفريقيا، وفيه سبعة أو ثمانية بحرية مسلحين بمكاحل[2] رومية، أي كلايط[3]، وسكاكين.

فهؤلاء الرجال كانوا ذوي رؤوسٍ غليظةٍ محسَّنَة كاملاً إلا خصلة شعر، أي گطَّاية، في قمة الرأس، وكانوا معرَّيين من وسطهم فما فوق، ولابسين سراويل بيضاء قصيرة، فإذ صاروا على قربٍ من السفينة أمروا البحرية باللغة الإصبانيولية أن يُنْزلوا القلوع[4]، فأبى الرئيس ذلك، أي تنفيذ الأمر، فعليه، أطلقوا علينا النار، ونحن استعدَّينا لمقاومة الهجوم، متسلحين بفؤوسٍ وقضبان حديدٍ مما طالت عليه يدنا، فحالاً اقتربوا إلى جنب يُمنى السفينة، وأحد البحرية اجتهد أن يطلع إلى السفينة ولكن منعه نائب الرئيس، إذ ضربه بقضيب حديد، فعليه أصيب نائب الرئيس برصاصةٍ في بطنه، وحينئذٍ أطلق الرئيس النارَ مرَّةً من فِزْدِ[5] كان معه، وهو السلاح الناري الوحيد الذي كان في السفينة، أما القرصان فأطلقوا علينا النارَ ثانيةً وجرحوا الرئيس في يده اليمنى.

حالاً بعد هذا، نائب الرئيس الذي كان قد ذهب إلى مؤخر السفينة على الجانب اليمين، وكان واقفاً هنالك أُصيب بجروحٍ مختلفة، والرئيس الذي كان قد انصرف إلى مقدم القمرة[6] أصابه رصاصة مزقت بطنه وأخرجت مصارينه إلى الخارج متعلقة، حينئذٍ تسلَّق القرصان إلى ظهر السفينة، ودخلوا القمرة والمقدم الأعلى من السفينة أنّـا، ونهبوا ما كان هنالك، وأَمَرُونا أن نُنْزِل قاربنا الوحيد. في هذا الوقت بَانَ ثلاث قوارب أخرى قادمة إلينا واقتربتْ مِنَّا، وحالاً تبعها قوارب آخرون كثيرة كان فيها مقدار مائة وعشرين رجلاً، فوسقوا القواربَ بكل ما طالت يدهم عليه، وكانت القوارب هذه تذهب إلى البَرِّ وتعود حتى تفرغ ما نهبوا مِنَّا من كسوتنا، وفرشنا، ومواعين[7] الطبخ، وثلاثة قناديل لجانب السفينة، وبعض قلوع زائدة، واثنان كُنَّا نستعملها، وسبعة براميل زيت كبيرة، وبرميلين صغار...، كذلك خمسة براميل من ذات السلعة، وما بقي من المواعين وأبواب القمرة، وأعلى السفينة، وسناسل حديد، وكافة مَئُونَتنا، خَلاَ عن بعض لحم مملح وبعض لحم خنزير، ونهبوا كل ما كان ممكن نقله، حتى أنهم أخذوا من أرجلنا أحذيتنا وأثيابنا من علينا، وداوموا هكذا على النهب والسلب حتى بعد الظلام، حينئذٍ عادوا إلى البَرِّ. فلمَّا انصرف القرصان وجدنا بأن الرئيس قد انسحب إلى مقعدٍ في القمرة، وخليفته كان مُلقى على وجهه في مؤخر السفينة، فنقلنا الآخر، أي الخليفة، إلى أعلى السفينة، وإذ هبَّتْ ريحٌ بعد هذا من الجهة الجنوبية الشرقية أقلعنا نحو شواطئ إصبانيا بلا حُك، أي بُصْلة، وبلا ضوء، والمُقِرُّ أُسطن قد كان استلم إدارة السفينة.

إن المُقِرَّيْن أُسطن وبركران بقيا على الظهر حتى الساعة الرابعة في صباح اليوم الثاني، وتركنا المقِرَّيْن برون وكوك يعتنيان بالرئيس وخليفته وأغراضهم الشخصية، فإن شواطئ إفريقيا بقيتْ ظاهرة لنا حتى الساعة السادسة صباحاً، لم نشاهد لا مراكب ولا بَرّ في كل النهار إلا قرب

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الغروب، حيث شاهدنا البَرَّ إلى جانب السفينة. حالاً بعد هذا شاهدنا ضوء قلاب ظننَّاه ضوء استوبنا. قرب منتصف الليل نظرنا إلى جهة السفينة اليمنى ضوء بابور[8] على صاريه[9] الأول، فأشعلنا مشاعيل من نسيج القناب مقدار ساعة، ولكن البابور لم ينتبه إلينا. نحو الساعة الثانية بعد نصف الليل في ثلاثين الشهر المذكور أقلعنا والضوء القلاَّب كان لم يزل إلى جانب السفينة من جهة المرسى، وفي الساعة الثالثة بعد نصف الليل سمعنا الرئيس يستغيث، فحالاً المُقِرُّ بركران توجه إلى القمرة ورأى الرئيس على الأرض، فعليه استدعى المُقِرُّ أُسطن حتى ينزلَ إلى تحت ويساعده على وضع الرئيس على المقعد، فأسرع أُسطن المذكور وسأل الرئيس لماذا انقلب، فأجاب الرئيس أنه يُحِبُّ أن يذهب إلى سريره، فأُخبِرَ أنه لا يمكن نقله إلى هنالك، لأن القرصان لم يتركوا شيئاً من الألواح التي كانت في الأسفل، لذلك وُضِعَ على المقعد أيضاً، وقيل له بأنهم عن قريبٍ سيُديرُون السفينةَ، فأجاب قائلاً: حسناً يا أولاد! ولكن أنا لا أقدر أن أذهب وأساعدكم.

فبعدما أداروا السفينة شاهد المُقِرُّ أسطن من باب القمرة الرئيس قاعداً على المقعد وشفتاه مزرقتيْن جِدًّا، فأسرع أسطن وبركران المذكوريْن إلى أسفل ووجدا الرئيس ميِّتاً على المقعد، حدث هذا في الساعة أربعة غير ربع. في الساعة الرابعة صباحاً أَدَرْنا السفينة ثانيةً، وقُرْبَ الفجر تَقَدَّمْنا إلى الأمام والضوء القلاَّب باقيا إلى أمام السفينة على اليمين. في الساعة خمسة ونصف شاهدنا دُخَّاناً خارجاً من بابور إلى الجهة اليمنى من السفينة، فرفعنا علامات الخطر، وهذه كانت عبارة عن قطعة ثوب دنكوري أزرق وقميص قديمة، ولكن البابور داوم سيره ولم يبالي بنا. في هذا الوقت طرق بالنا لأول مرَّةٍ بأن ذلك الضوء الذي كنَّا نشاهده ليس هو ضوء استوبنا بل هو ضوء سبتة، فأبقيْنا السفينة بعيدة جاعلين الضوء القلاَّب على درجتيْن من جهة مؤخر السفينة يميناً.

في الساعة العاشرة صباحاً شاهدنا جبل طارق، ولكن الهواء كان هكذا غير رائق، حتى أننا التزمنا أن نُبْقِيَ السفينة إلى جهة الريح إلى أن راق الهواء قرب الساعة الرابعة بعد منتصف النهار. أما بعدما برمنا محل يوربا بوينط وإذ كُنَّا باقيين ناشرين قطعة الثوب والقميص المذكوريْن فجاء إلى مساعدتنا البابور هرقول، فطلبنا إلى الرئيس أن يأخذنا إلى مرسى أمين، فأجاب طلبنا هذا، وأتى بنا إلى مرسى جبل طارق بعد الساعة الرابعة بعد نصف النهار بشيءٍ قليل.

فعليه، يحتجُّ هؤلاء المُقِرُّون المذكورون بالأصالة عن أنفسهم وبالنيابة عن كلِّ مَن له تعلُّق ضد الحضرة الشريفة وضد القرصان المذكورين، لما نزل بهم من شدائد الأرياح والبحر والضباب، والأخطار والمصائب، وآفات البحر والسفر كافَّة، لاسيما في الأحوال السالفة، ويحتجُّون على كل الخسائر والأضرار والتأخُّرات والأكلاف التي لحقت وستلحق سفينتهم المذكورة، والوسق الذي كان فيها في وقت السفرة المذكورة، ويُقرِّرون بأن هذه كلها حدثت وصارت ليس إلا على النسق الذي قرَّرُوه وشرحوه سابقاً، وليس بسبب أو لعدم الاعتناء أو التقصير بالإدارة أو لإهمالٍ في الواجبات صدرت عن رئيس السفينة أَنَّــا المذكورة أو من مقدِّميها أو بحريتها، فهؤلاء المذكورين

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

يُؤَدُّون هذا التقرير الرسمي المهم بكل ثقةٍ، متأكِّدين بأن هذا هو عين الحقيقة. الإمضاءات: وليم أسطن، ج.و.بركران، ألفرد برون، وجون كوك.فشهادةً وتزكيةً على ذلك، قد أمضى المُقِرُّون المذكورون هذا التقرير أمامي بعدما قد قُرِئَ عليهم محتواه، وذلك في اليوم المذكور من فاتح مايو عام خمسة وتسعين بعد الألف وثمانمائة مسيحية، وقد أمضيتُ هذا بيدي وبطابع قنصولاتو دولة هولندة في جبل طارق. الإمضاء: القنصل خوسف أروند بطرن.

أشهد بأن هذا الرسم السابق هو حقيقي وموافق طبقاً للأصل، أي التقرير الأصلي، على ما هو مفيدٌ في سجلات هذه القنصولاتو، وهو منقولٌ عنها ومقابلٌ عليها بدِقَّةٍ. وشهادةً على ذلك، قد وضعتُ أدناه اسمي، وطبعتُه بطابَعِ قنصولاتو دولة هولندة الفخيمة في جبل طارق في فاتح مايو عام 1895 مسيحية. الإمضاء خوسف أروند بطرن»[10].

تجدر الإشارة إلى أن نائب رئيس السفينة الهولندية «أَنَّا» وُوكر سْمِيث المصاب في هذا الهجوم القرصني كان قد رفع تقريراً إلى القنصل الهولندي بجبل طارق خوسف أروند بطرن المتقدم الذكر، بتاريخ 6 ذو القعدة 1312هـ/1 مايو سنة 1895م، تضمن شهادته على مجريات الحادث المذكور، فجاءت مطابقة لما ورد في الشهادة المذكورة لطاقم السفينة «أَنَّا»، نثبته فيما يلي كاملاً نصًّا ولفظاً:«الحمد لله وحده. قنصولاتو دولة هولندة الفخيمة في جبل طارق. هذا رسمُ تقريرٍ قد قدَّمه بعد اليمين وإذ كان مريضاً مخطراً في دار المرضى المعروف بـ(كولنيال هوسبتال) وكر سمث، نائب رئيس السفينة أَنَّـا الهولندية المختصة بمرسى أواد بكيلا، أمام الواضع اسمه أدناه الكبلير خوسف أرند بطرن، قنصل دولة هولندة، في فاتح شهر مايو عام خمسة وتسعين بعد الألف وثمانمائة مسيحية، فقرَّر وكر سمث المذكور أمام القنصل خوسف أرند بطرن المذكور وعلى مسامعه وقال إنه في يوم الأحد الواقع في 28 أبريل قرب الساعة الثالثة بعد نصف النهار، وإذ كُنَّا على بعد نحو سبعة أميالٍ عن مرسى الخسامس[11] شاهدنا قارباً فيه سبعة أو ثمانية بحرية مسلحين بمكاحل رومية، أي كلايط، وسكاكين، قادماً نحو السفينة من الشاطئ.

أما هؤلاء الرجال فكانوا ذوي رؤوس غليظة محسنة[12] تماماً إلا خصلة شعرٍ، أي گطاية، في قمة الرأس، وكانوا مُعَرَّيِين من فوق الوسط، وكانوا لابسين سراويل قصيرة، فلما صاروا على قربٍ من السفينة أمروا البحرية باللغة الإصبانيولية أن يُنزلوا القلوع، فأبى ذلك الرئيس، فعليه أطلقوا النار على السفينة وبحريتها الذين حالاً تسلَّحُوا بفؤوسٍ وقضبان حديدٍ، واستعدُّوا لدفع الهجوم الذي بان بأن لا مناص منه.

أما القارب فحالاً تقدَّم إلى قرب السفينة، وأحد بحريته الذي اجتهد أن يطلع إلى ظهر السفينة أُلْقِيَ إلى تحت بضربة بقضيب حديد من المُقِرِّ المذكور وكر سمث، فعليه أطلق الآخرون النار على المُقِرِّ وأصابوه برصاصةٍ في بطنه، حينئذ أخذ الرئيس فردي[13]، وهذا كان السلاح الناري الوحيد الذي كان في السفينة، ولم يُخلِ أكثر من مرَّة إلا وقد كان جُرِحَ في يده. في هذا الحين

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

انسحب المُقِرُّ إلى مؤخر السفينة، ولكن أُطْلِقَ عليه النار ثانيةً، فوقع جريحاً على ظهر السفينة، إن المُقِرَّ لم يَعُدْ يتذكَّر ماذا حدث بعد ذلك.

الإمضاء: وكر سمث.

فشهادةً على ذلك، قد أمضى وكر سمث المذكور سابقاً هذا التقرير السالف أمامي أنا القنصل المذكور قَبْلاً، وذلك حتى يكون هذا التقرير حاضراً للاستخدام والاستعمال حسبما تستدعي الأحوال والظروف، وها أنا قد وضعتُ اسمي أدناه، وطبعتُه بطابع القنصولاتو في ذات اليوم والشهر والعام المذكورين سالفاً.

الإمضاء: خوسف أرند بطرن.

أشهد بأن هذا الرسم السابق هو حقيقي وموافق طبقاً للتقرير الأصلي على ما هو مفيدٌ في سجلات هذه القنصولاتو، وهو منقولٌ عنها ومقابلٌ عليها بدِقَّةٍ. وشهادةً على ذلك، قد وضعتُ أدناه اسمي، وطبعتُه بطابَعِ قنصولاتو دولة هولندة الفخيمة في جبل طارق في فاتح مايو عام 1895 مسيحية.

الإمضاء: خوسف أرند بطرن»[14].

ومباشرة بعد هذا الحادث القرصني بعث الوزير المفوَّض لدولة ألمانيا ونائب دولة هولندة بطنجة الكونت گراف فون طاطنباخ رسالة إلى النائب السلطاني محمد بن العربي الطُّرِّيس، بتاريخ 9 ذو القعدة 1312هـ/4 مايو 1895م، يُعلمه فيها بنبأ تعرض السفينة أنَّا لهجوم دامي من قبل القراصنة الريفيين أسفر عن مقتل رئيسها وجرح نائبه، ونهب محتوياتها من السلع والذخائر، طالباً منه المسارعة إلى البحث عن الجناة وتقديمهم إلى العدالة، وإيجاد الوسائل الكفيلة للفصل في هذه القضية قائلاً: «أُعْلِم سيادتكم بأن المركب الهلندي المسمَّى أَنَّـا قد هجموا عليه أناس من أهل الريف بالقرب من حجر النكور تاريخ 28 من أبريل الفارط، وقتلوا رايس المركب وجرحوا الرايس الثاني، ونهبوا جميع ما كان في المركب. فبمقام نائب دولة هلندة أُمِرْتُ من هذه الدولة بأن أطلب من دولة المغرب أن تجعل البحث عن الفُعَّال والقبض عليهم وزجرهم من دون تراخ وتعطيل، فأُمِرتُ أيضاً بأن أُعْلِمَ سعادتكم أن دولة هلندة تُقَدِّمُ شروطها في شأن تعويضٍ بعداً، فأرجو منكم أن تُخبروني من دون تأخيرٍ الوسائل المجعولة لفصال هذه القضية»[15].

وجاء جواب المخزن سريعاً، إذ سارع الصدر الأعظم أحمد بن موسى (بَّا حماد) إلى بعث رسالة عاجلة إلى الكونت فون طاطنباخ، بتاريخ 13 ذي القعدة 1312هـ/8 مايو 1895م، يخبره فيها ببلوغ هذه النازلة إلى علم السلطان، وبإصدار هذا الأخير أوامره بملاحقة المعتدين، وباستعداده لقبول كل الصيغ المناسبة لحل هذه القضية بما يرضي خاطر الجانبين، وذلك بقوله: «وأنهينا ذلك لشريف عِلْمِ مولانا نصره الله فكدَّره ذلك غايةً، وأصدر أمرَه الشريف لمولاي عرفة[16] بالبحث عن الفُعَّال والقبض عليهم، ووجَّه له كتابه الشريف مع أحد أعيان حضرته العالية بالله وأمره

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X
DM

بالتوجه لطنجة يركب منها بحراً لعنده، وأمرني دام عُلاه بإجابتك بذلك، وبأن ما يتعلق بالقتل والنهب يكون فِصاله بحول الله بما يقتضيه الحق وخاطر الجانبيْن»[17].

وبعد قيام السلطات الهولندية بتقييم الخسائر المادية والبشرية المترتبة عن هذا الهجوم اقتضى نظرها مطالبة الدولة المغربية بتنفيذ شروطها لإنهاء هذه القضية، وتمثَّلت هذه الشروط في كتابة اعتذار رسمي عن الهجوم المذكور يُقدَّم إلى الدولة الهولندية، واعتقال الجناة ومعاقبتهم، ثم أداء تعويض مالي لفائدة أسر الضحايا، وأرباب السفينة المنكوبة، وأصحاب السلع المنهوبة، قُدِّرتْ قيمته بـ(4500) ليرة إنجليزية. وحمل الكونت طاطنباخ هذه المطالب إلى الوزير أحمد بن موسى، عبر رسالة مؤرخة في 18 ذي الحجة 1312هـ/13 يونيو 1895م قال فيها: «فإنني بمقام نائب دولة هولندة أنهيتُ مضمن كتابكم لعِلْمِ الدولة المذكورة، ففي أثناء ذلك جعلتْ دولة هولندة البحث عن الواقعة المكدِّرة غاية البحث، وثبَّتتْ بتدقيق الخسائر التي حصلت لبحرية المركب المشار إليها وأربابها وأصحاب وسقها، فقد أُمِرْتُ بإعلامكم بما تطلبه دولة هولندة من دولة المغرب في شأن فصال هذه النازلة، ومطالبها هي الآتية:

أوَّلاً: كتابٌ رسميٌّ تكتبه دولة المغرب إلى دولة هولندة وتخبرها به أن تتأسف على الهجمة التي وقعتْ من بعض رعية المغرب على رايس المركب المذكورة وخليفته وبحريتها. وثانياً: البحثُ عن الفُعَّال والقبض عليهم ومعاقبتهم. وثالثاً: أداءُ مبلغٍ قَدْرُه أربعة آلاف وخمسمائة (4500) ليرة إنكليزية، أي مائة واثنا عشر ألف وخمسمائة (112500) فرنك فرنصيص، وتُعيِّن هذا المبلغ لمعاونةِ أرملة الرايس المقتول وأولاده الأربعة، وتعويضٍ للخليفة المجروح، وغرامةِ الخسائر التي حصلت لأرباب المركب وأصحاب السلع المنهوبة. فأظنُّ أن تفطن سيادتكم بأن مطالب دولة هولندة هي بحسب الحق والصواب، وأُومِلُ أن تُقْضَى المطالبُ المذكورة من دون تعطيلٍ وتأخيرٍ كما هو موافق المحبَّة الكائنة بين الدولتين من مدة قرون، ومُرادُ دولة هولندة أن تبقى هذه المحبة سالمةً»[18].

وقد استجاب السلطان مولاي عبد العزيز لمطالب الدولة الهولندية، بحيث أعرب عن اعتذاره وأسفه الشديديْن عن حصول هذه الواقعة ضد المركب الهولندي المتقدم الذكر، وأبدى استعداده التام للبحث عن «الفُعَّال» وإلقاء القبض عليهم وتنفيذ العقوبة في حقهم مهما أمكنه ذلك. أما بخصوص التعويضات المالية عن الخسائر المذكورة، فإن السلطان قد التمس من المسؤولين الهولنديين بأن يُمهلوه مدة أربعة أشهر حتى يتمكن النائب السلطاني محمد بن العربي الطريس من جمعها ودفعها، وذلك بسبب ضعف مداخيل خزينة الدولة خلال هذه السنة، كما توضح ذلك رسالة الوزير أحمد بن موسى إلى الكونت فون طاطنباخ، بتاريخ 13 محرم 1313هـ/7 يوليوز 1895م، حينما أجابه فيها قائلاً: «وأطلعتُ بكتابك شريف عِلْم مولانا نصره الله، فأمر دام عُلاه بإجابتك بأن العدد من الفرنك المذكور غير مُيسَّرٌ الآن، لأجل تعذر المدخولات في هذا الوقت، الذي لا يخفى عليك أيها المُحِبُّ حاله، ولا بُدَّ من جعل أجلٍ لتيسيره شيئاً فشيئاً، وجَمْعِه تحت يد النائب

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

السيد الحاج محمد الطريس، وقَدْرُ هذا الأجل أربعة أشهر مبدؤها السادس عشر من شهر المحرم تاريخه، وبنفس انصرامه يكون مُيَسَّراً تحت يد النائب المذكور بحول الله ويدفعه لك، ولا شكَّ أنك تقبَل أنتَ ودولة هولاندة المُحِبَّة هذا الأجل، وأما الفُعَّال فقد جُدِّد الأمر الشريف لمولاي عرفة بأن يقبض عليهم مهما أمكنه ذلك، كما أمر دام عُلاه بالكتابة لك بأن تنوبَ عن سيادته الشريفة لدى الدولة المذكورة المُحِبَّة في إنهاء ما حصل لجانبه العالي بالله من التأسُّف الكثير على هذا الواقع الذي وقع لمركبها»[19]. وقد قبلتْ هولندة اعتذار المغرب، ووافقت على ملتمسه بتأجيل دفع التعويضات المالية المذكورة، وأعربت عن أملها في أن تتحقق العدالة بمحاكمة المعتدين ومعاقبتهم لإنهاء هذه النازلة، حفاظاً على العلاقات المتواشجة بين البلدين منذ أمد بعيد، جاء ذلك في رسالة وجَّهها الكونت طاطنباخ إلى الوزير أحمد بن موسى، بتاريخ 28 محرم 1313هـ/22 يوليوز 1895م قال فيها: «فوزير أمور البرانية للدولة المذكورة، بعد اطِّلاعه على كتاب سيادتكم أمرني الآن أن أُعْلِمَكُم بأن دولة هولندة هي على خاطرها من قبول مطاليبها وفصالها، ولها الأمل بأن يقع القبضُ على الفُعَّال وعقابهم لنهي هذه القضية مثل ما أظهرت الحضرة الشريفة رغبتَها وجدَّدتْ أوامرَها العالية»[20].

وعبَّر طاطنباخ عن سروره العميق بنجاحه في إنهاء هذه القضية على الوجه الذي يرضي الجانبيْن، مغتنماً الفرصة لتقديم شكره الجزيل للسلطان مولاي عبد العزيز على ما أبداه من رغبة أكيدة لجبر ضرر ضحايا السفينة الهولندية أنَّا: «وأما أنا بغاية السرور، حيث أَنْهَيْتُ هذه النازلة على الخاطر بمساعدة سعادتكم، وكنتُ الواسطة فيما بين الدولتيْن، لتأييد المحبة الكائنة فيما بينهم من قديم الزمان، والآن أرجوكم أيضاً أن تَنُوبُوا عنِّي بتقديم المجازات والشكر للحضرة الشريفة عمَّا أظهرتْهُ من الحقَّانية والعدالة لإتمام هذه القضية المكدِّرة، وعلى المحبة الدائمة»[21].

والتزاماً بوعده، قدَّم المغرب لدولة هولندة دفعة أولى من التعويضات المالية قدرها (21562.5) ريالاً من أصل المبلغ الإجمالي الذي هو (22500) ريالاً[22]، استلمها الكونت فون طاطنباخ من يد النائب السلطاني محمد بن العربي الطرِّيس بتاريخ 9 غشت 1895م، حيث أَقرَّ طاطنباخ بتوصله بالمبلغ المذكور في وثيقة قال فيها: «قد وَصَلَنَا مِن يد نائب الحضرة الشريفة السيد الحاج محمد الطريس في طنجة مبلغٌ قَدْرُهُ واحدٌ وعشرون ألف ريال وخمسمائة واثنين وستون ريال ونصف ريال (21562.5) سكة الفرنصيص، وذلك من أصل مطلب دولة هولاندة غرامة المركب أنَّـا، الذي هو اثنين وعشرون ألف ريال وخمسمائة ريال سكة الفرنصيص (22500)، فيكون الباقي تسعمائة ريال وسبعة وثلاثون ريال ونصف سكة الفرنصيص»[23].

وبعد مرور شهر وبضعة أيام على تسديد المبلغ المذكور، دفع المغرب لهولندة المبلغ المتبقي من الغرامة وهو (937.5) ريالاً، توصل به القائم بالأعمال في المفوضية الألمانية بطنجة البارون فون بوشة من يد النائب السلطاني محمد الطُّرِّيس، بتاريخ 13 سبتمبر 1895م، بعدما أشهد على نفسه قائلاً: «قد توصلت من يد نائب الحضرة الشريفة السيد الحاج محمد الطريس في طنجة

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

بمبلغٍ قدرُه تسعمائة ريال وسبعة وثلاثون ريال ونصف (937.5)، وذلك تمام ما هو باقي من المعاوضة المطلوبة من دولة هولاندة للمركب أَنَّــا»[24].

صفوة القول، لقد شكلت القرصنة الريفية خطراً حقيقيًّا هدد السفن التجارية الأوروبية -بما فيها السفن الهولندية- في عرض الساحل المتوسطي خلال القرن التاسع عشر، وكانت عواقبها كما رأينا وخيمة على مالية الدولة وهيبتها، كما كانت وخيمة أيضاً على أهالي قبيلة بقيوة بصورة خاصة، وعلى سكان منطقة الريف بصفة عامة، بسبب الحملات العسكرية التي شنها المخزن لردع القرصنة الريفية وتأديب ممارسيها وإجبارهم على الطاعة والخضوع[25]، وبذلك يمكن أن نقول: إن القرصنة البحرية تعتبر في واقع الأمر ثابتاً من ثوابت الأزمة في العلاقات المغربية الأوربية ليس خلال الفترة الحديثة وحسب، وإنما خلال الفترة المعاصرة من تاريخ المغرب أيضاً.

الهوامش:

(1) انظر: علي بنطالب ، «منطقة الريف ومشكل القرصنة في حوض البحر الأبيض المتوسط في أواخر القرن 19م»، في **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط**، العدد 32، سنة 2012، ص.77؛ عبد الرحمان الطيبي، الريف قبل الحماية، قبائل ساحل الريف الأوسط 1860-1912، منشورات تيفرازن عاريف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2008، ص.309 وما بعدها؛ محمد أونيى، «القرصنة الريفية بين الأسطورة والتاريخ(1856-1898)»، في **مجلة حوليات الريف**، العدد 2، سنة 1999، ص.48 وما بعدها؛ جرمان عياش، «المجتمع الريفي والسلطة المركزية المغربية(1850-1920)»، ضمن كتابه **دراسات في تاريخ المغرب**، تعريب محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التمسماني خلوق، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، الطبعة الأولى 1986، ص ص.189-221.

(2) مكاحل: لفظة عامية مغربية تعني بنادق، مفردها مكحلة: بندقية.

(3) كلايط: لفظة عامية مغربية تعني بنادق أوروبية الصنع، مفردها كلاطة: بندقية.

(4) القلوع: أشرعة السفينة. مفرده قِلْع.

(5) فِرْدِ: مُسدَّس.

(6) القمرة: غرفة بأعلى السفينة ينام فيها البحارة للاحتماء فيها من البرد ومن الماء المتطاير أثناء الإبحار. وقمرة قيادة السفينة هي مقصورة القيادة.

(7) المواعين: لفظة عامية مغربية تعني أواني المطبخ.

(8) بابور: مركب، سفينة.

(9) الصاري: عمود يُركَّر في وسط السفينة ليُشَدَّ عليه الشراع.

(10) نص احتجاج طاقم السفينة الهولندية «أَنَّــا» ضد السلطان مولاي عبد العزيز والقراصنة الريفيين على الهجوم القرصاني الذي تعرضوا له قرب مرسى الحسيمة، مؤرخ في 7 ذو القعدة 1312هـ/2 مايو 1895م. الأرشيف الوطني بلاهاي، سلسلة 2.05.15.15، قنصلية طنجة 1830-1907، رقم 64.

(11) يقصد مرسى الحسيمة.

(12) رؤوس محسنة: رؤوس حليقة.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

(13) المقصود به المُسَدَّس.

(14) نص التقرير الذي قدَّمه وُوكر سْمِيث نائب رئيس السفينة الهولندية «أَنَّــا» عن حادث قرصنة السفينة المذكورة إلى القنصل الهولندي بجبل طارق خوسف أروند بطرن، بتاريخ 6 ذو القعدة 1312هـ/1 مايو 1895م. الأرشيف الوطني بلاهاي، سلسلة 2.05.15.15، قنصلية طنجة 1830-1907، رقم 64.

(15) من رسالة الوزير المفوَّض لدولة ألمانيا ونائب دولة هولندا بطنجة الكونت گراف فون طاطنباخ إلى النائب السلطاني محمد بن العربي الطُّرِّيس، بتاريخ 9 ذو القعدة 1312هـ/4 مايو 1895م. الأرشيف الوطني بلاهاي، سلسلة 2.05.15.15، قنصلية طنجة 1830-1907، رقم 64.

(16) الأمير مولاي عرفة بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام العلوي، هو أخو السلطان مولاي الحسن الأول. كان خليفة لأخيه مولاي الحسن على مدينة فاس، ناب عنه في كثير من الحركات العسكرية ضد القبائل الجامحة. توفي سنة 1324هـ/1906م. انظر: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى 2005، ج2، ص.214، 227، 243.

(17) من رسالة الوزير أحمد بن موسى إلى الوزير المفوَّض لدولة ألمانيا ونائب دولة هولندا بطنجة الكونت گراف فون طاطنباخ، بتاريخ 13 ذو القعدة 1312هـ/8 مايو 1895م. الأرشيف الوطني بلاهاي، سلسلة 2.05.15.15، قنصلية طنجة 1830-1907، رقم 64.

(18) من رسالة الوزير المفوَّض لدولة ألمانيا ونائب دولة هولندة بطنجة الكونت گراف فون طاطنباخ إلى الوزير أحمد بن موسى، بتاريخ 18 ذو الحجة 1312هـ/13 يونيو 1895م. الأرشيف الوطني بلاهاي، سلسلة 2.05.15.15، قنصلية طنجة 1830-1907، رقم 64.

(19) من رسالة الوزير أحمد بن موسى إلى الوزير المفوَّض لدولة ألمانيا ونائب دولة هولندة بطنجة الكونت گراف فون طاطنباخ، بتاريخ 13 محرم 1313هـ/7 يوليوز 1895م. الأرشيف الوطني بلاهاي، سلسلة 2.05.15.15، قنصلية طنجة 1830-1907، رقم 64.

(20) من رسالة الوزير المفوَّض لدولة ألمانيا ونائب دولة هولندا بطنجة الكونت گراف فون طاطنباخ إلى الوزير أحمد بن موسى، بتاريخ 28 محرم 1313هـ/22 يوليوز 1895م. الأرشيف الوطني بلاهاي، سلسلة 2.05.15.15، قنصلية طنجة 1830-1907، رقم 64.

(21) الرسالة نفسها.

(22) يقدر المبلغ الإجمالي لهذه التعويضات المالية بـ(22500) ريال مغربي، الذي يعادل في ذلك الوقت (4500) ليرة إنجليزية، و(112500) فرنك فرنسي، سدَّده المغرب كاملاً لهولندة على دفعتين كما هو مثبت في الوثائق أعلاه. وقد وَهَم المؤلف پيير گيلن عندما صرح بأن التعويض المالي الذي دفعه المغرب للجانب الهولندي في هذه الحادثة قدره (125000) ألف فرنك فرنسي. انظر: Pierre Guillen, L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905, paris, Presses universitaires de France, 1967. p.344.

(23) انظر: نص إقرار الوزير المفوَّض لدولة ألمانيا ونائب دولة هولندة بطنجة الكونت گراف فون طاطنباخ باستلام مبلغ مالي في قضية السفينة الهولندية أَنَّــا من النائب السلطاني محمد بن العربي الطُّرِّيس، بتاريخ 16 صفر 1313هـ/9 غشت 1895م. الأرشيف الوطني بلاهاي، سلسلة 2.05.15.15، قنصلية طنجة 1830-1907، رقم 64.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

(24) انظر: نص إقرار القائم بالأعمال في المفوضية الألمانية بطنجة البارون فون بوشة باستلام مبلغ مالي في قضية السفينة الهولندية أَنَّـا من النائب السلطاني محمد بن العربي الطُّرَّيس، بتاريخ 21 ربيع الأول 1313هـ/13 سبتمبر 1895م. الأرشيف الوطني بلاهاي، سلسلة 2.05.15.15، قنصلية طنجة 1830-1907، رقم 64.

(25) انظر: عبد الرحمان الطيبي، «الحملة المخزنية على بقيوة سنة 1898»، في **مجلة حوليات الريـف**، العدد 2، سنة 1999، ص ص.61-71.